عبد الوهاب مطاوع

شاهد على عصر غبى

تاريخ التسجيل ١٩٩٢

obeikandl.com

★ **ملاحظة :**

أكثر الموظفين شهرة أكثرهم انحرافاً !!؟

★ **تساؤل :**

ما هى الطفولية السياسية ؟

★ **استنكار :**

أب يستنكر إصرار ابنه على البقاء معه !!

★ **رأى :**

الأغلبية الصامتة هى الأغلبية الخيرة .

obeikandl.com

الإنسان هو الهدف ، هدف الفلسفة والعلم والدين وكل جهد هباء إن لم يكن هدفه فى النهاية هو الإنسان ، سعادته وأمنه واستقراره . . وشاهدنا على العصر اليوم صحفى كبير جعل هدفه الإنسان ، ونال أحدث جوائزه وهى جائزة على ومصطفى أمين كأحسن كاتب فى المسائل الإنسانية ، كما أنه استطاع استقطاب الأسرة المصرية كل جمعة حول بابه الصحفى الشهير «بريد الجمعة» بجريدة «الأهرام» .

ولد عام ١٩٤٠ فى دسوق بمحافظة كفر الشيخ ، وتخرج من قسم الصحافة بآداب القاهرة عام ١٩٦١ ، والتحق رسمياً بالصحافة بعد أن كان يمارسها وهو لايزال طالباً .عمل بجريدة «الأهرام» وبدأ بالتحقيقيات ، وفى عام ١٩٧٦ أشرف على صفحة أسبوعية ضمنها أول عامود له بعنوان «رأى الوجه الآخر» ، ثم ساعد الأستاذ ابراهيم نافع فى الصفحة الاقتصادية إلى جانب التحقيقات .

فى عام ١٩٨٠ غاب عن مصر سنتين عمل خلالهما بجريدة «الاتحاد» بالإمارات ، وعاد عام ١٩٨٢ لينضم إلى الديسك المركزى للأهرام ، أى سكرتارية التحرير ثم أصبح نائباً لمدير التحرير ، فمساعداً ثم نائباً

لرئيس تحرير الأهرام . . وفى عام ١٩٨٦ تولى رئاسة تحرير مجلة «الشباب وعلوم المستقبل» . أما قصته مع بريد الأهرام ، فقد بدأت عام ١٩٨٢ عندما تولى الإشراف عليه . . وانبثق من هذا الباب بريد الجمعة الأسبوعى بالأهرام الآن ، له العديد من المؤلفات معظمها قصص إنسانية من بريد الجمعة فضلاً عن المقالات والصور الأدبية وأدب الرحلات ، والآن إلى شهادته على عصره ورحلة مع نهر الحياة . .

●●● رؤية عامة :

ـ أستطيع أن أقول فى صدرها ، التعبير الذى استخدمه الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون فى كتابه ، «نصر بلا حرب» عن هذا القرن بصفة عامة أنه أغبى القرون وأفضلها . . تناقض . . ولكن له أسبابه المنطقية ، هذا القرن شهد مالم تشهده القرون السابقة من الحروب حيث جرت فيه مائة وثلاثون حرباً أو إذا أضفنا إليها ـ بعد صدور كتاب نيكسون ـ حرب الكويت ومجازر يوغسلافيا إلى آخره ، قد تصل إلى مائة واثنتين وثلاثين أو مائة وثلاث وثلاثين حرباً ، مات فى هذه الحروب على أقل تقدير مالا يقل عن مائة وعشرين أو مائة وواحد وعشرين مليوناً من البشر وهذا الرقم يفوق كل من مات فى الحروب منذ فجر التاريخ وحتى الآن ، هذا عن غباء هذا القرن ، أما عن أفضليته فقد شهد هذا القرن من عجائب العلم والتقدم مالم يشهده العالم من قبل ، فالسمة الرئيسية لهذا القرن ، أنه شهد من الآلام مالم تشهده القرون السابقة ، وشهد من التقدم والعلم مالم تشهده أيضاً القرون السابقة .

● **وكأن الألم كان من أبرز الأثار الجانبية للتقدم ؟**

ـ هو رافقها ولكن هل هو أثر لها أم لا ، فلا نستطيع أن نحكم .

إذن أول سمة يرصدها الأستاذ عبد الوهاب مطاوع لهذا العصر هو غباؤه وتقدمه فى نفس الوقت أو نجاح وإخفاق ، هذا على جانب وهذا على جانب آخر ؟

ـ ونلاحظ أن الغباء والألم وقعا على الجانب الإنسانى منه ، أما التقدم فقد وقع على الجانب المادى .

● **ننطلق إلى بقية الظواهر فى هذا العصر وأبرز ما يميزه ؟**

ـ أبرز مايميزه أيضاً وهو من عجائبه أنه قد اتجه إلى الوجهه الصحيحة للتطور الإنسانى وهو انتصار الليبرالية والديمقراطية والحرية فى معظم مواقع العالم . . وهو قد بدأ يتجه إلى أن يكون عصر سيادة الإنسان على أمره وعلى نفسه ، ومابقى فى العالم من جيوب شمولية أو غير ديمقراطية فهى فى طريقها إلى التحلل والزوال تدريجياً .

● **لكن هل هذا على المستوى السياسى فقط بمعنى الحرية الليبرالية والديمقراطية السياسية أم تقصد الحرية الإنسانية بشكل عام من خلال علاقة الفرد بكل من حوله أو ما حوله ؟**

ـ أنا فى الواقع أقصد الاثنين لأنه على مستوى السياسة ، أو على علاقة الشعوب بحكامها والنظم الحاكمة فيها ، هو يتجه فى تطور

طبيعى إلى الديمقراطية والليبرالية ، وذلك بحكم التاريخ ولايستطيع أحد أن يوقف هذا الحكم .

وعلى المستوى الشخصى والفردى فهو يتجه أيضاً إلى حرية الإنسان وحرية الفرد وتغليب حرية الفرد . . والإثنان فى النهاية مرتبطان ببعضهما البعض إلى حد كبير .

● **نعم ونحن نلحظ الآن مزيداً من الطلب المتزايد على الحريات الفردية حتى من الإبن فى مواجهة أبيه ، والزوجة فى مواجهة زوجها ؟**

ـ هذا صحيح ، الحرية على كل حال تتفق مع طبيعة الإنسان الذى كرمه ربه وجعله أهلاً لأن يكون حراً ، والإنسان كما تعلم هو أكرم الكائنات على الله سبحانه وتعالى ، وكل ماينال من كرامته ومن حريته يتعارض ما أراده الله له سيحانه وتعالى ، وفى التنزيل العزيز يقول الله سبحانه وتعالى لملائكته حين أراد خلق آدم عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾

صدق الله العظيم

فالإنسان هو الذى سجدت له الملائكة إلا إبليس الذى أبى واستكبر وكان مصيره معروفاً ، والإنسان هو الذى استخلف فى الأرض .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾

صدق الله العظيم

من هو الخليفة ؟ هو الإنسان ، هذا الإنسان كائن عزيز كريم على ربه وينبغى أن يكون كريماً على نفسه وعلى الآخرين وعلى حكامه وعلى الجميع ، فكل ما يرد على حريته من قيود وكل ماينال من كرامته كإنسان هو مخالف للإرادة الإلهية للإله سبحانه وتعالى ، فإذا كان العالم الآن يتجه إلى احترام وإعادة حقوق الإنسان وإلى إعادة حريته إليه ، فهو يتجه فى الطريق الصحيح الذى رسمه الله سبحانه وتعالى حين خلقه وحين استخلفه فى الأرض .

●●● قرن للسلام ولحقوق الإنسان :

● **نستطيع إذن أن نقول إن الاتجاه إلى الديمقراطية وإلى حقوق الإنسان ماهو إلا انتصار أو تغليب للمشيئة الإلهية وتحقيق لها فى هذا العصر بعد عصور من الظلام والقهر والعبودية ؟**

ـ تمام . . وهذا بمفهوم المخالفة ، كما قلت لك ما كان يجرى فى الماضى فى أى عهد وفى أى عصر وفى أى مكان فى العالم مخالفاً لهذا ، لم يكن متوافقاً مع المشيئة الإلهية ولامع تكريم الله سبحانه وتعالى ، بالإضافة إلى أن هذا التطور للعالم ولحركة التاريخ ينبغى أن تفرض علينا

أن تكون الألفية القادمة من عمر الزمان والقرن القادم هو قرن للسلام وقرن لحقوق الإنسان .

●●● مجلة بالشباب وللشباب :

● **أستاذ عبد الوهاب مطاوع بما أن أول ملمح من ملامح العصر والذى رصدته بحق هو التقدم القائم على العلم والتكنولوجيا ، وطبعاً شهود العصر فى هذا البرنامج أجمعوا تقريباً على أنه عصر العلم والتكنولوجيا ، وهذه هى صفته الأساسية لديهم ، ولكن استوقفتنى أنك حينما توليت رئاسة تحرير «مجلة الشباب وعلوم المستقبل» عدلت اسمها إلى «مجلة الشباب» فقط ، فهل ألغيت علوم المستقبل أم ماذا ؟**

ـ أنا لم أبلغ علوم المستقبل حتى ألغيها ، لكن هذا اتجاه صحفى بحت ليس له علاقة بتقسيم العلم ولابتقديره . . لقد نظرنا ـ حينما توليت رئاسة تحرير مجلة الشباب ـ نظرنا إلى السوق الصحفية فوجدنا فيها مجلات علمية متخصصة كثيرة ، لكن ليس فيها مجلة شبابية متخصصة فى قضايا الشباب وقادرة على مخاطبة الشباب ومتابعة اهتماماته ، ثم محاولة توجيه هذه الاهتمامات إلى أهداف ومثل عليا ومن ثم رأينا أن تكون مجلة منفردة باهتماماتها ، . متفردة باهتمامها بقضايا الشباب ، قد تكون أنفع للمجتمع من مجلة علمية تشاركها الدوريات العديدة فى هذا الاهتمام ، فهذا كان شأناً صحفياً ولا علاقة له بتقييمنا للعلم .

●●● إنسان العصر والقدرة على الإبداع :

● **أستاذ عبد الوهاب مطاوع لقد صورت فى رؤيتك العامة . .**

صورت العصر ووصفته ورصدت أهم خواطره ، فماذا عن الإنسان ، إنسان هذا العصر ، كيف تصفه وتصف ما آل إليه فى هذه المرحلة من العصر؟

ـ بصفة عامة تجد أن الإنسان يتجه إلى استخدام ملكاته العقلية وقدراته على الإبداع على أوسع نطاق وذلك بعد أن تخلص من أى قيود كانت تعرقل هذا الإبداع وهذا الاستخدام للملكات .

وأنت تعلم أنه فى العصور الوسطى كانت هناك قيود عديدة على التفكير وعلى الإبداع . ، قيود دينية ، . وقيود متعلقة بالتقاليد والمواريث والأفكار الثابتة . . وتعلم ما حدث فى الماضى عندما اكتشف جاليليو كروية الأرض ، كان كل ما يخالف الأفكار الثابتة يعد تجديفاً فى الدين ، الآن بصفة عامة العالم تخلص من هذه الفكرة ، فكرة تعارض العلم مع الدين ، ومن فكرة اعتبار كل اكتشاف جديد أو كل فكرة جديدة لم تكن معروفة من قبل ، أو لم تكن واردة فى المأثورات وفى الكتب الثابتة أنها تجديف فى الدين أو مخالفة ، بصفة عامة اختفى ذلك من العالم كله مما فتح مجالاً واسعاً لقدرات الإنسان على الإبداع ومما مهد لقيام الثورة الصناعية فى أوروبا وقيام ثورة الصناعة ثم ثورة التكنولوجيا ثم ثورة الاتصالات ، العالم الآن أصبح قرية صغيرة ، الإنسان متصل فيها بأخيه الانسان من أقصاها إلى أدناها ولابد لهذا أن يكون له أثره فى تغيير المفاهيم المشتركة بين الناس ، فلو تلاحظ أنه من قرون لم يكن البشر فى طرف من أطراف الأرض يدرون بالبشر فى أى طرف من أطرافها الأخرى ،

أما الآن الإنسان قد يعايش آمال إنسانٍ آخر أو شعب آخر فى أقصى أطراف الدنيا ويعايش أيضاً همومه ، فالدوائر المشتركة أيضاً تتسع ولعل ذلك يوظف لخدمة قضايا الإنسان ولخدمة تكريس مفاهيم السلام .

●●● بين الإنتماء للقبيلة والإنتماء للحياة الفردية :

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع أريد أن أفصص ـ إذا جاز لى هذا التعبير ـ هذا السؤال العام إلى جزئيات ، نبدأ بالفرد ، علاقة الفرد فى هذا العصر بأسرته كبداية ، وما الذى اختلف فيها ؟

ـ الذى اختلف فيها أن الإنسان أصبح يتجه إلى الفردية بدلاً من الجماعية ، فى المجتمعات الأولى كان الإنسان جزءاً من كيان أكبر هو القبيلة ، ومفهوم الأسرة عنده واسع يشمل الأعمام ، الأخوال والأصهار، والأنساب وبذلك يعتبر مايقع على أى جزء أو أى طرف من أطراف هذه الأسرة العريضة أو القبيلة موجهاً إليه شخصياً ، وهذا مانطلق عليه نحن الإحساس القبلى ، وهذا المفهوم القبلى هو الذى يدفع إلى الحروب والاستنفار إذا ماتعرضت القبيلة للخطر ، ومع تطور الإنسان وتطور حركة التاريخ ، أصبح مفهوم الأسرة يضيق تدريجياً فبعد أن كان يشمل القبيلة الواسعة ، أصبح يشمل الأسرة الكبيرة التى تضم الإنسان وزوجته وأولاده وأباه وأمه وإخوته وأزواجهم ، بيت العائلة ، ثم أصاب هذا المفهوم حركة التطور فأخذ يضيق حتى كاد أن ينحصر الآن مفهوم الأسرة فى الفرد وزوجته وأولاده . . هذا التطور قد يكون سلبياً فى بعض النواحى لكنه إيجابى فى نواحٍ أخرى .

● **هل هذه السلبية يقصد بها الأستاذ عبد الوهاب مطاوع ما يثار ـ فى علاقة الفرد بأسرته ـ عن التفكك الأسرى وضعف التواصل بين الأجيال ؟**

ـ بالتأكيد لأن الإحساس العائلى القوى إحساس إيجابى يدفع الإنسان للتعاون مع ذوى أرحامه وللتكافل بين بعضهم البعض ويخلق المسئولية المشتركة بينهم عن الأسرة بأكملها .

●●● الحزن الغامض :

● **وهل ضعف هذا الإحساس فى هذا العصر فى مصر وقد وصلنا الآن إلى مصر ؟**

ـ إذا تحدثنا عن مصر فسنجد أنه قد نالنا ما نال العالم كله من تطور ، لكنه أقل كثيراً فى آثاره السلبية من مجتمعات أخرى إلى حد كبير ، فى المجتمع الغربى يضيق أحياناً عندهم مفهوم الأسرة إلى أن يكاد ينحصر فى الفرد نفسه ، بمعنى أن الأبناء إذا بلغوا سن السابعة عشرة . يصبح استمرارهم فى الإقامة مع والديهم دليلاً على عدم النضج النفسى، ولقد قرأت فى أبواب المشاكل الإنسانية فى الصحف ، رسالة من أب يشتكى إلى محرر الباب من أن عنده ولدين أحدهما يبلغ من العمر عشرين عاماً وعندما بلغ الثامنة عشرة استقل عن الأب وأخذ مسكناً مستقلاً ، والثانى يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً وليست له أية مشروعات أو نوايا للانفصال عنا ، ويطلب تفسير المحرر لهذا الموقف من الإبن، والعمل إزاء تصرفه هذا، انظر إلى الصورة ، نحن فى مصر نحزن عندما يقارقنا

الأبناء فى سن السادسة والعشرين عاماً ليتزوجوا وتجد الأب ينخلع قلبه ويعانى من إحساسين متناقضين فى وقت واحد : الفرحة لزواج الإبن ومسئوليته عن أسرة ومسكن مستقل . . وحزين لأنه سيستقل ويبعد عنه . . وأنا أطلقت على هذا الإحساس مرة إسم «الحزن الغامض» الذى ينتابنا كلما راقبنا أبناءنا وهم تقل حاجاتهم المادية والنفسية إلينا رغم فرحتنا الداخلية بأنهم يستقلون ويصبحون رجالاً ، فالصورة فى مصر مختلفة إلى حد كبير وإذا كانت هناك سلبيات فهى سلبيات يمكن أن تقاس بحالتها لكنها لاتشكل سمة عامة .

●●● السفينة الواحدة :

● هذا عن علاقة الفرد بالأسرة والتفكك الأسرى المعاصر ، ماذا عن علاقة الفرد بالمجتمع أيضاً فى مصر الآن ؟

ـ علاقة الفرد بالمجتمع مرتبطة دائماً بدرجة وعيه ، إذا كان إنساناً واعياً تجده متنبهاً إلى أنه ترس من تروس هذا المجتمع وعنصر محترم من عناصره ، إذا اختل هو اختل المجتمع ، أما فى حالة انخفاض وعى الفرد فينخفض عنده الإحساس بالمسئولية الجماعية المشتركة عن المجتمع الذى يعيش فيه ، ومن هنا تظهر سلبيات اللامبالاة وعدم الانتماء وتدمير الذات ، . الطفل أو الإنسان غير الواعى حينما يدمر وسيلة من وسائل المواصلات العامة بأن يزيل مسماراً عن الموتور عبثاً ، هو فى هذه الحالة يفتقد الإحساس بأنه هو أحد ملاك هذا الأتوبيس العام والذى

يستخدمه هو وأسرته وأبناء بلده ، وبالتالى فإنه مسئول عن صيانته وليس عن تدميره ، وهذا الإحساس يسمى بإحساس ركاب السفينة الواحدة ، إذا تغلبت النزعة الفردية على الجميع ، اعتبر كل راكب من ركاب هذه السفينة أن مواطىء قدم كل منهم ملك خاص له ، يستطيع أن يتصرف فيه بحرية تامة ، يستطيع أن يثقب هذا المتر المربع الذى يمتلكه غير مدرك أنه بثقبه هذا المتر المربع إنما يغرق السفينة كلها التى تنتهى بغرقه هو شخصياً ، فكلما زاد الإحساس بالمسئولية العامة والمشتركة كلما ارتقى المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان .

● **إذن هل يوافق الأستاذ عبد الوهاب مطاوع على وصف إنسان العصر أو الفرد فى علاقته بالمجتمع أو الدولة فى عصرنا أنه ذلك «المتفرج الأعزل» ؟**

ـ بصفة عامة صعب ،أنا لا أحب أن آخذ بالظواهر السلبية أو الحالات الفردية والاستثنائية وأحكم بها على شعب بأكمله ، نحن ننفر من صور السلبية ونتألم ونفزع منها وهذا يخلق عندنا انطباعاً ، أحياناً يكون خاطئاً ، انطباعاً بأن الدنيا كلها والناس كلها ومصر كلها هكذا ، وهذا غير صحيح . .

●●● الأغلبية الصامتة = الأغلبية الخيرة :

● **إذن أنت لاتوافق على تعبير «الأغلبية الصامتة» الذى استخدمه الصحفى الكبير الأستاذ إبراهيم سعده؟**

ـ لا ، أنا أوافق على أن الأغلبية الصامتة هذه هى الأغلبية الخيرة المنتمية إلى بلدها والمرتبطة بهذا المجتمع ، المؤمنة به المدافعة عنه والتى تحكمها القيم الدينية الصحيحة والقيم الخيرة ، وإلا لو لم تكن هذه الأغلبية موجودة لتحولت الحياة إلى غابة لا يأمن فيها الإنسان على نفسه ، فى كل مجتمع هناك منحرفون وهناك سلبيون وهناك متطرفون ، لكن الأغلبية العظمى دائماً من أى شعب هى أغلبية سوية .

● **وأغلبية صامتة ؟**

ـ هى غالباً ما تكون صامتة وهى صامتة لأن الشر يعلن عن نفسه بقوة ونفزع منه نحن ، فلو نظرت إلى أى إدارة من إدارات العمل تتكون من حوالى ثلاثين موظفاً مثلاً ، تجد منهم اثنين منحرفين لكنهما مشهوران ، فما الذى شهرهما ؟ . . شهرهما انحرافهما ، لأننا فزعنا من هذا الانحراف فعرفنا أن فلاناً منحرف . لكن باقى الإدارة قد لانذكرهم لأنهم يعيشون بطريقة طبيعية ، يؤدون واجبهم بطريقة طبيعية ، يرعون الله فى عملهم لذا فليس هناك مبرر لأن نتذكرهم ، وهذا هو تأثير الاستثناء . . الاستثناء دائماً ملفت للنظر لكن القاعدة السوية لاتسترعى الانتباه ، ولولا هذه القاعدة السوية لما كانت الحياة .

● **فكرة الصمت أو الأغلبية الصامتة ، . يمكن لهذا الوصف أن يحمل نوعاً من الانتقاد لصمت هذه الأغلبية يعنى المطلوب أن تكون أكثر قدرة على المبادرة والتعبير عن رأيها فى مواجهة القلة من المنحرفين ذوى الأصوات الأعلى ؟**

ـ هذه الأغلبية لها وسائلها فى التعبير عن نفسها والوسيلة التى تستخدمها هى وسيلة الردع الاجتماعى ، أى أنها تنفر من المنحرفين ولاتقترب منهم ولاتسمح لهم بالاقتراب منها ، فلا تصاهرهم ولاتحضر اجتماعاتهم أواحتفالاتهم ، . يعنى مثلاً عندما يرغب موظف مرتش يملك مالاً كثيراً فى مصاهرة رب أسرة شريف ، فإن هذا الرجل الشريف مهما كانت ظروفه وظروف أسرته فإنه يرفض وقد يرحب بموظف آخر أقل فى الإمكانات لكنه مستقيم وعلى خلق ودين . ، هذا موقف اجتماعى إيجابى ، أما بالنسبة لفكرة أن تعلى هذه الأغلبية صوتها فأنا أختلف مع الذين يطالبون الأغلبية الصامتة بالخروج للشوارع والهتاف بأنهم ضد الانحراف والتطرف ، لأن هذا يتنافى مع طبيعة الحياة الطبيعية للناس ، فالمجتمعات ليست مجتمعات حرب كى نطالبها بالخروج فى مسيرات إلى آخره ، وأنا أرى أن هذه طفولية سياسية .

أنا ليس مطلوباً منى إلا أن أؤدى عملى بأمانة وأن أرعى الله فى حياتى الخاصة ، وأن أحاول بقدر الإمكان أن أطهر مجتمعى الصغير ومجتمعى الأسرى ، فيتطهر المجتمع تلقائياً ، . إنما الانخراط فى عمل عام يؤدى إلى تغيير المجتمع ، فهذه فكرة ماركسية لاتصلح لكل المجتمعات ، لأن من يعلمون بالسياسة هم قلة لديهم الاستعداد والقدرة على التعبير والقدرة على تمثل إرادة الجماهير والتعبير عنها . . أما الناس العاديون ليس مطلوباً منهم أن يشتغلوا بالسياسة . فى المجتمعات المتقدمة ، فى أوروبا وأمريكا الأغلبية العظمى منها لاتشتغل بالسياسة . ، يشتغل

بالسياسة هناك الأحزاب . . والأحزاب مكونة من أشخاص مثقفين مؤهلين للعمل العام والعمل الجماهيرى ، وهم يستقطبون تأييد القاعدة، التى ترشحهم إلى مراكزهم الحزبية ثم السياسة فيما بعد ، يعبرون عنها ويحققون إرادتها ، والرأى العام غالباً مايعبر عن نفسه فى استفتاء إذا استفتى ، أو فى الانتخابات إذا حان موعد الانتخابات .

● **هذا إذا شارك . أستاذ عبد الوهاب مطاوع ، لكن نحن نشكو من قلة المشاركة هنا فى مصر ، فى الانتخابات العامة ، فى صناديق الاستفتاء، وفى المواقع المطلوب فيها من الشعب أن يقول كلمته .**

ـ ضعف المشاركة سلبية ، ولها أسباب وخلفيات وموروثات عديدة تحتاج وقتاً حتى تختفى وتحقق الأثر الإيجابى وليس الناس هم المسئولون عنها ، المسئول عنها أنظمة الحكم التى أفقدت الناس الثقة فى الانتخابات وفى الاستفتاءات وفى جديتها ، المسئول عنها ٩٩٩ من ألف فى المائة ، والناس لها عقولها !!

ما أقصده هو أن تبرير القصور السياسى لمن يتصدون للعمل العام أو العمل السياسى سواء فى الأحزاب أو فى الحكومة ، أو فى الهيئات العامة لتبرير فشلهم بأن الأغلبية صامتة ولاتشارك ، هذه مقولة أنا لا أتفق معها ، بدليل أن هذه الأغلبية الصامتة هى الأغلبية التى تفور فورة ولاأقول ثورة بل فوراناً غير مسبوق وغير مقدر حين تستشعر الإهانة . ، الانتفاضات الشعبية التى حدثت فى مصر على مدى المائة عام الأخيرة

تكشف طبيعة هذا الشعب ، الشعب المصرى صبور وكثير التحمل إلى درجة تغرى المؤرخين أحياناً إلى اتهامه بالسلبية وافتقاد الشجاعة ، لكن هؤلاء المؤرخين لو اقتربوا من تاريخ الشعب المصرى اقتراباً صحيحاً أو عميقاً سيجدون أن الشعب المصرى يتحمل أحياناً الظروف الاقتصادية، بل يتحمل أشد المحن وأشد البلاء ، لكنه لايتحمل استشعار الإهانة ، إذا ما أهانه نظام الحكم أو أهانه أى فرد من الأفراد واستشعر هذه الإهانة فإنه يفور فوراناً مدمراً ، . وراجع تاريخ الحركات الشعبية التى حدثت فى مصر خلال المائة سنة الماضية ، ستجد أن ثورة سنة ١٩١٩ عندما قامت أذهلت زعماء الوفد أنفسهم واستقبلوها فى البداية ببعض التوجس واعتبروها شيئاً من الممكن أن يفسد عليهم حركتهم السياسية المعتدلة والتى تطالب بالسماح لوفد بالسفر إلى باريس لحضور «مؤتمر باريس» لإسماع صوت شعب مصر للمجتمعين المنتصرين بعد الحرب العالمية الأولى ، فعندما ذهب شباب كلية الحقوق لعبد العزيز باشا فهمى قال لهم : «لاتلعبوا بالنار وتفسدوا علينا عملنا ، فنحن مازلنا نتحرك» .

ثم اجتاحت الثورة أجزاء مصر من أسوان إلى الاسكندرية . . وقاتلت وتصدت لرصاص الإنجليز ، واستوعب زعماء الوفد أن هذه الحركة صحيحة بعد صدمة اللحظة الأولى . . عندما تجد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ رغم أنها كانت مجرد نذر إلا أنها تحولت فجأة إلى حركة شاملة لتغيير المجتمع كله ونظامه بدلاً من حركة إصلاحية لإصلاح الجيش .

● **كان اسمها الحركة المباركة ؟**

ـ نعم الحركة المباركة وكانت مطالبها الأولى إصلاح الجيش إلى آخره . . لكن هذا التطور أذهل المراقبين ، وتجد وراء هذه الثورة استشعاراً للإهانة . ، فقد بلغ من استهتار الملك السابق فاروق بهذا الشعب وكرامته بأنه لم يعد يرعى له حساباً . ، استشعر الجيش هذا وتحرك ، والأمثلة كثيرة وتجد أن محركها الأول أن صبر هذا الشعب يفلت مرة واحدة إذا استشعر الإهانة ، والأغلبية الصامتة ليست سلبية ، هى أغلبية إيجابية لكنها تعبر عن نفسها فى الوقت المناسب وحين تستشعر الإهانة .

●●● ثورة الاتصالات مالها وما عليها :

● **أستاذ عبد الوهاب مطاوع عودة إلى نقطة كنت قد ذكرتها فى صدر الشهادة عن ثورة الاتصالات المعاصرة وتحول العالم إلى قرية كبيرة بفضل الأقمار الصناعية وإلغاء الحدود والمسافات بين الدول والشعوب المختلفة، فنشأ مجتمع المعلومات وأنا أسأل عن أثر كل هذا على ذاتية إنسان العصر، هل هددتها هذه العالمية أو الكونية ؟**

ـ أنا لست من المتشائمين أو المتخوفين من تحول العالم كله إلى قرية صغيرة ، صحيح أن ثورة الاتصالات ستنقل مفاهيم جماعات وقيم مجتمعات معينة إلى مجتمعات أخرى قد لاتكون مستعدة لها ، وقد يحدث نوع من التهجين بين الأفكار والقيم . . هذا على المستوى الأخلاقى ، والتخوف الوحيد على المستوى الأخلاقى . . فالحرية الفردية زائدة عن

الحد فى المجتمعات الغربية ، لكن إذا كانت هذه سلبية وهى بالتأكيد كذلك ، لكن هناك إيجابيات أخرى يمكن أن تعوّض عنها . ، وهى أنها سوف تقوم أيضاً بتلقيح الأفكار الموجودة بأفكار ليبرالية ، أفكار تتعلق بالحريات وباتساع الفكر وبالتخلص من القيود الفكرية الجامدة ، أى سيحدث نوع من التفاعل ومسئولية كل مجتمع هنا أن يستخلص من هذا الغازى الجديد الجوانب المفيدة له ويستبعد الجوانب السيئة ، وهذا يزيد من مسئولية الإنسان عن نفسه، والإنسان المسئول عن نفسه هو إنسان جدير بالاحترام والثقة . وجدير بأن يحيا عصره ، فأنا إذا كنت أحمى ابنى الآن من المؤثرات السلبية غير الأخلاقية ، فهذا إلى مرحلة ، بعد ذلك ينبغى عليه أن يقوم هو بفرز مايتلقاه من مؤثرات خارجية ويصل إلى قناعة داخلية صادرة عنه هو نفسه بأن هذا خطأ ، وهذا صواب . . كذلك الشعوب ، فوصايتنا على الشعوب يجب أن تأتى إلى حد معين ثم ترفع هذه الوصاية بعد أن ترتفع درجة نضج هذا الشعب ودرجة ثقافته ، وذلك حتى يقرّر هو مايراه صواباً ومايراه خطأً من هذه المؤثرات .

● **وهذا ما نلاحظه حالياً ، فالآن الأثير مفتوح أمام أى إرسال قادم من أى أقمار صناعية من شعوب وثقافات ودول مختلفة من الشرق والغرب . . وكل فرد يستطيع أن يضع فوق سطح منزله Dish أو طبق ويستقبل مايشاء من تليفزيونات العالم ؟**

ـ هذا منتهى الوعى . . ومنتهى الوعى أيضاً اختيار الإنسان بملء إرادته ألا يدخل التليفزيون بيته ، فهذا اختيار واع أيضاً . . وأنا أحترمه

سواء كنت أتفق معه أو أختلف ، وأنا أعرف أسراً مسلمة وأخرى مسيحية لم يدخل جهاز التليفزيون بيوتهم حتى الآن .

● **لكن تحت أى دعوة ؟ أهو الخوف من التأثر أو الخوف على الأبناء ؟**

ـ أسر متطهرة ترى أن الإنسان إذا كان عنده وقت فراغ ينبغى عليه أن يستغله فى القراءة والعبادة . . وترى أن مشاهدة التليفزيون مضيعة للوقت ، هذا رأى لابد من احترامه والسماح لأصحابه بالتعبير عنه وممارسته بدون أى تدخل منا ، كما يتاح للآخرين شراء Dish كى يستقبلوا خمساً وأربعين محطة من الخارج .

هذه حرية شخصية يجب أن نمنحها للأفراد وألا نحكم على هذا بأنه صواب أو خطأ ، فمن حق كل إنسان أن يعبر عن نفسه ويختار لنفسه . . فالإنسان الذى يختار لنفسه ويتحمل تبعات اختياره هو الإنسان الواعى الجدير بتحمل مسئوليته عن نفسه وعن بلده .

● **هو فى الحقيقية أستاذ عبد الوهاب مطاوع هناك كثيرون من خبراء أو علماء الاجتماع يقولون العكس ، هم يرون أن هذا الانفتاح الإعلامى وثورة الاتصالات وتحول العالم إلى قرية لن يقضى على ذاتية الإنسان وثقافته المتفردة فى كل شعب من الشعوب ، بل سيزيد هذا الإنسان إصراراً على تأكيد ذاتيته وهويته فى مواجهة الثقافات الأجنبية الوافدة عبر الأثير وذلك من باب حرصه على نفسه ؟**

ـ يا سيدى الفاضل ، ما الذى يحدث لإنسان يريد أن يتحصن ضد

أى مرض من الأمراض ؟ . . نعطيه مصلاً وهذا المصل عبارة عن ميكروب المرض لكن بدرجة خفيفة ويدخل الميكروب جسمه فيخلق عنده المناعة ضد هذا المرض ، فإنها تنمى فى الإنسان القدرة على التفكير النقدى الذى هو قمة نضج الإنسان ، وهو الذى يستطيع أن يميز به بين الخطأ والصواب والمقبول وغير المقبول ، وما يتفق معه ومالا يتفق، الطفل لايملك القدرة على التفكير النقدى ، ولذا فإنه يتلقى معطياته من الكبار ، إنما الناضج تبدأ عنده ملكة التفكير النقدى . . الإنسان غير الناضج بعد مشاهدته لفيلم لايستطيع أن يحكم هل هو جيد أم لا ، الإنسان الواعى يستطيع أن يقرر إذا كان هذا الفيلم سيئاً أم جيداً . ، والإنسان الذى يقرر هذا مستخدماً فى ذلك التفكير النقدى هو أرقى من غيره ، فانفتاح العالم أو المجتمع على المجتمعات الأخرى يزيد من معارفه ويوسع من أفقه الثقافى والأفق العام للأفراد ، ولذا فنحن نعتبر من سافر إلى الخارج أكثر علماً أو أكثر دراية بأفكار الناس ممن لم يسافر :

«وسافروا ففى الأسفار سبع فوائد » .

و « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

فإذا كان تطور العالم أتاح لى أن يسافر العالم إلىَّ دون أن أسافر أنا إليه فهل هذا تطور سلبى ؟

●●● جيلى جيل من أتعس الأجيال :

● **أستاذ عبد الوهاب مطاوع نأتى إلى شهادتك على عصر عشته**

وتشهد عليه ، بمعنى أننا نستطيع أن نقول إن الوعى تفتح لديك ابتداء من أواخر الخمسينيات ، فمن ذلك الحين وحتى الآن ماهى شهادتك ؟

ـ إذا كان لى أن أشهد على الفترة التى تفتح فيها الوعى السياسى عندنا أو عند جيلى ، فأستطيع أن أقول لك ، فى جملة مختصرة ، إننا من أتعس الأجيال التى مرت على مصر ، على عكس الشائع بين كثير من الشباب الآن الذين يعتقدون أن الأجيال الماضية عاشت حياة أفضل من حياته أو عاشت فى ظروف أفضل من ظروفه ، وهذا وهم أو حس قديم قدم الزمان يعنى إحساس كل جيل بأن الأجيال السابقة كانت تعيش فى ظروف وأحوال أفضل من جيله .

● حتى فى انجلترا يقولون The old good days أى الأيام الجميلة الماضية ودائماً مايعتبرون أن الماضى هو الجميل !

ـ نعم ويعتبرون أنه كان هناك عصر ذهبى منذ قديم الزمان . . وهذا إحساس تاريخى صاحب جميع الأجيال منذ فجر التاريخ وحتى الآن . . بل تعجب عندما تعلم أن فى كتابات الرومان كان هناك من ينعى على الناس تدنى الأخلاق وضياع القيم بالمقارنة بالعهود الماضية ، والامبراطور الحكيم المعروف فى تاريخ الرومان ماركوس أرلوس كان يجلس كل مساء ويتأمل فى أحوال البشر ونقائصهم وأخلاقهم ، وكيف فسدت مقارنة بالعصر الذهبى السابق ، وأنت تعرف أن فى فجر الإسلام قيل يوم فتح مكة ؛ «اسكتى يا فلانة فقد ذهبت الأمانة» وقيل قبلها «باطن الأرض

خير من ظهرها » . وذلك بعد غزوة بدر والشاعر العربى يقول فى مرحلة لاحقة :

ذهبوا الذين يعاش فى أكنافهم وبقـيت مثـل السـيف فـرداً

الشكوى من الزمان شكوى قديمة وتفسيرى لها أنه لو كان ما يقوله الناس صحيحاً ، لو كانت الأمانة والاخلاق قد ذهبت ، لما كانت الحياة استمرت حتى الآن ، وما كان متاحاً لأى إنسان أن يعيش هذه الحياة . . إذن هى شكوى تفسيرها عندى أن كل جيل يفترض فى نفسه أنه أفضل من الجيل الذى جاء بعده وذلك على أساس أنه أكثر خبرة وأكبر سناً . . فأنا إذا كنت أعتبر نفسى أفضل من الشباب الجديد الذى يساعدنى لا لأنى أملك ملكات عقلية خارقة وهم يعانون من قصور ، بل لأن بينى وبينهم خبرة سنين ، لكن لو أتيح لهم اكتساب نفس خبراتى ، سوف يصبحون أفضل منى ، مضافاً إليهم مكتساباتهم من العصر الذى عاشوه ومؤثرات العصر عليهم وإمكاناتهم التى قد لاتكون متوفرة فىَّ شخصياً .

● **هذه نظرة عادلة جداً من جيل إلى جيل ؟**

ـ هى نظرة موضوعية ، ثم أن هناك جزءاً نفسياً آخر، فلو تلاحظ تجد أننا حين ننعى على الأخلاق ، ننعى بدون أن نشعر شبابنا وأيامنا التى راحت ولن تعود ، ففى هذا جزء نفسى ، جزء وجدانى ، فنحن عندما نتحسر على الأيام الماضية فنحن نتحسر على شبابنا الذى ذهب لكن هل

الأيام التى عشناها كانت أفضل من الآن أم لا . . فهذا غير معروف . .

● ولو طبقنا هذا على الواقع وعلى الفترة التى تشهد عليها ، الفترة ـ كما قلنا ـ من بداية الستينيات وحتى الآن ؟

ـ قلت لك فى البداية إننا من أتعس الأجيال التى مرت على مصر فى الخمسين سنة الماضية ، لأننا تفتح وعينا وبدأت مشاركتنا فى الحياة فى ظل نظام شبه شمولى إن لم يكن شمولياً ، كانت له أهدافه الشريفة وكانت له أيضاً ممارساته العنيفة وكان يؤمن بالتعبئة السياسية المستمرة للشعب .

●●● وكان أحسن الأزمان وأسوأ الأزمان !

● إذن تفتح وعيك أستاذ عبد الوهاب مطاوع على مجتمع شبه شمولى أو شمولى كما وصفته ؟

ـ نعم وهذا الذى جعلنى أقول لك إنه فى رأيى أننا من أتعس الأجيال التى عاشت ظروفا كهذه الظروف ، بل إن هناك تعبيراً آخر يراودنى لوصف الفترة من عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٧٠ وهو التعبير الذى استخدمه الروائى تشارلز ديكنز فى بداية روايته «قصة مدينتين» عندما قال «كان أسوأ الأزمان وأحسنها» ، والحقيقة عندما تفكر فى ذلك تجد أن هذه الفترة كانت فعلاً أحسن الأزمان فى أشياء كثيرة جداً ، وكانت أسوأ الأزمان فى أشياء كثيرة أيضاً ، ولنبدأ بالجانب الإيجابى لإيمانى أن كل عهد وكل زعيم له إيجابيات وسلبيات . . وأنه ينبغى الحكم عليه فى إطار

عصره وفى إطار الظروف التاريخية التى عايشها فلا يصح انتزاع حدث من سياقه التاريخى ولا انتزاع زعيم من مرحلته ، ثم تقييمه الآن بظروف هذا العصر وبقيمه .

وقد كان هذا العصر أحسن الأزمان لأنه كان زمن الحلم وزمن الفترة والتطلع لأداء دور أو توهم أننا تروس فى كيان كبير عظيم يؤثر فى مجرى العالم كله وفى مجرى التاريخ . ، وهذا الإحساس كان ينزل إلينا من القمة ويصل إلينا ويؤثر ويعمل عمله فينا وكان يعطى قوة دفع وكانت هناك مثل عليا وكان هناك إيمان بقضايا كبرى وأننا جميعاً . هذا الجيل : هو الجيل الذى التقى مع القدر على موعد لتغيير الحياة فى مصر وفى المنطقة العربية ولتحرير الشعوب إلى آخر هذه الشعارات الضخمة العظيمة ، كان هناك مايسمى بالمشروع القومى والذى يجعل للإنسان هدفاً فى حياته فيخفف عليه كثير من معاناته ، كان زمن العزة وزمن الاستشعار أن مصر الرائدة ، ومصر الدور ، ومصر القيادة ، وهو إحساس طيب ، ولكن المبالغة فيه طفولية سياسية والعهد كان يشجع على هذا الإحساس وخاض معارك كثيرة عشناها وتحملنا تبعاتها وآثارها بهذا الإحساس ، . ثم أفقنا من هذا الحلم إفاقة أو صدمة شديدة ومدوية عام ١٩٦٧ ، . وكانت النتيجة حدوث نوع من التمزق النفسى لقطاعات عريضة من الشباب . وهذا هو سن الشباب بالنسبة لجيلى ، فلا تتخيل التمزق النفسى الذى عشناه والأمراض النفسية التى انتابت الجميع ، الاكتئاب العام ، اختلال القيم ، اهتزاز المثل العليا ، اهتزاز الشعور بالانتماء ،

فلو تراجع التاريخ تجد أن أول موجة من الهجرة الجماعية إلى أوروبا واستراليا وأمريكا خرجت من مصر بعد عام ١٩٦٧ ، وقبلها بسنوات قليلة ، كان أمل كل إنسان فى جيلى أن يصبح وزيراً خلال أيام قليلة والطريق مفتوح أمامه ، لايتطلب الأمر منه سوى أن يجيد الكلام ، يقرأ الميثاق ثم يجيد حضور الندوات العامة ويشارك فى التنظيمات السياسية ويحضر لقاءات واجتماعات أمانة الدعوة والفكر ، ويكون عنده صبر لحضور ندوة تستمر سبع ساعات ثم يقوم هو ليتحدث بانفعال عن قوى الشعب العامل ويحضر المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ويقول من ذاكرته فقرة طويلة من الميثاق ، فيلفت نظر كبار المسئولين فى الاتحاد الاشتراكى أو رئيس الاتحاد الاشتراكى نفسه ، وهو فى ذلك الوقت الزعيم عبد الناصر فيتم تصعيده سياسياً وينتقل من عضو لجنة العشرين إلى عضو لجنة المركز ، إلى أمين الشباب ، إلى أمين الفلاحين ، ثم يجد نفسه فجأة بدرجة وزير . . وحدثت أعاجيب كهذه كثيرة ، وشهدتها أنا كثيراً، من هذا الحلم الذى يراود كل شاب أن يحقق طموحه من خلال ممارسة العمل السياسى بهذا الشكل . . ثم حلم «أقوى قوة ضاربة فى البر والجو والبحر» وكانت هذه المقولة هى التى نصحوا عليها كل صباح وشعار «من الإبرة إلى الصاروخ » وعبقرية العلماء المصريين واختراعات العلماء المصريين التى لامثيل لها فى الشرق ولا فى الغرب ، والمقاتل المصرى الذى لامثيل له فى الشرق ولا فى الغرب وكيف ترتجف إسرائيل من كل صيحة تصدر عن مصر .

● أحلام كبيرة خيالية ؟

ـ لا ليست أحلام بل جرائم ؛ جرائم تغييب الوعى العام وجرائم الغفلة عن الواقع وعن الحقيقة ، على أية حال نحن غير مسئولين عنها لأننا من ضحاياها ، ثم نصحوا على تحطم هذا الحلم ، وأنا أذكر أن يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ وأنا كنت أعزب وأقيم فى مسكن مستقل ـ مر على صديق ليخبرنى بقيام الحرب وهو مبتهج بقيامها أو بوقوع إسرائيل فى المحظور حيث سنقضى عليها فى ساعات ، وخرجنا نبحث عن وسيلة مواصلات وكانت كل المواصلات متوقفة . . ووصلت «الاهرام» لأرى منظراً لايزال إلى الآن فى مخيلتى وهو بقايا شربات فى أكواب موضوعة فوق المكاتب ، . واتضح أن المرحوم الأستاذ كمال الملاخ وزع شربات على المحررين ابتهاجاً بقيام الحرب حيث أن النصر قريب ، فقد كنا ننتظر أن ترتكب إسرائيل أى خطأ وقد فعلت ، وسننهى الأمر خلال أيام ، ثم اشتركنا فى تغطية الحرب كصحفيين . . وأذكر أنه فى اليوم الأول كلفنى الأستاذ ممدوح طه ـ متعه الله بالصحة ـ وكان رئيس قسم الأخبار الذى استدعانى إلى مكتبه وقال لى :

«هناك أربع طائرات إسرائيلية سقطت فى صحراء ألماظة فاذهب لتصويرها » .

فأخذت سيارة ومصوراً وزميلى الأستاذ عباس مبروك وجرينا إلى صحراء ألماظة حيث قابلنا ضابط شاب ، دخل معنا بسيارة جيب

ليرينا الطائرات المتساقطة ، فلم نر الطائرات المتساقطة ، لكن رأينا طائرة صغيرة فضية اللون تهبط وتصعد ثم طلب منا الضابط الهبوط من السيارة والانبطاح أرضاً لأننا كنا هدفاً لطائرة إسرائيلية واتضح فيما بعد أنها طائرة اسرائيلية تهبط لضرب الكلية الحربية وموقع عسكرى آخر قريب وتصعد مرة أخرى وبلا أى موانع ، ثم جاءت الصور من أنحاء العالم ليتضح أن ما كنا نصوّره على أنه طائرات إسرائيلية هو فى الواقع طائرات مصرية أو فوارغ بنزين الطائرات الاسرائيلية .

ثم استطرد بحزن شديد :

لا أريد أن أطيل فى هذه الفترة الكئيبة . . لكن ما أريد أن أقوله هو حدوث شرخ فى نفسية الإنسان المصرى والمثقف المصرى على وجه التحديد شرخ لم يلتئم منذ هذه اللحظة وحتى أكتوبر عام ١٩٧٣ .

● **نعم وهذا ما كنت أريد أن أستوضحه منك ، أن ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ أدى إلى التئام الجرح والشرخ الذى حدث ؟**

ـ لقد ضمدت الجراح فى سنة ١٩٧٣ . . لكن أنا لا أعتقد أن الآثار النفسية التى تركتها هزيمة سنة ١٩٦٧ على جيلنا قد انمحت نهائياً حتى الآن .

● **وهذا واضح من رنة الجرح والحزن فى صوت الأستاذ عبد الوهاب مطاوع حالياً ؟**

ـ نعم هى ذكرى أليمة بلا شك ، سأقول لك عن شىء ، فأنا قد

شاهدت أيامها عن قرب أشخاصاً من الموعودين بالمجد السياسى وبالتصعيد ، ممن كانوا موضع غبطتنا وتمنينا بأن نصبح مثلهم وشاهدتهم بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ ، الهزيمة الساحقة الماحقة ولم تكن نكسة كما يقال ، شاهدتهم وقد فقدوا الإيمان بكل شىء وفضلوا الهجرة إلى أوروبا وغرسوها فينا ونحن متخلين عن كل ما أرهقونا به من آراء ومثل كتلاميذ لهم ، فقدوا الإيمان بكل شىء وقرروا أن يعتزلوا السياسة وأن يبدأوا حياة جديدة لا علاقة للسياسة بها . . وأحدهم هاجر إلى أوروبا وتحول إلى تاجر سيارات ، . الفجيعة فى ٥ يونيو كانت تلخص مأساة واحدة هى مأساة الجهل بقدرات الإنسان وقدرات النفس ، ولو راجعنا التاريخ نجد أن موقفنا فى ٥ يونيو تكرر بحذافيره قديماً مما يؤكد أننا لانستفيد كثيراً من دروس التاريخ ، فى حرب السبعين بين فرنسا وألمانيا استدعى ملك فرنسا ماريشال الحرب وسأله عن استعداد الجيش فأجابه الاجابة المشهورة التى صارت مثلاً فى التاريخ وقال :

«الجيش مستعد بل أكثر من مستعد وهو على استعداد أن يحارب عاماً بعد عام بدون أن يغير زراراً من ملابس الجنود » .

على الجانب الآخر سأل بسمارك وزيره للحرب فكان متحفظاً ومتوجساً وخائفاً . . ونشبت الحرب فهزمت جيوش بروسيا فرنسا هزيمة ساحقة . ، هذا الموقف نفسه أى الغفلة عن القدرات الحقيقية للنفس وللوطن ، هو الموقف الذى حدث بين الزعيم جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر عندما سأله الزعيم جمال عبد الناصر عن استعداد

الجيش فقال له : «برقبتى يا ريس» وهو الموقف الذى ترجمته تصرفات القيادة السياسية والقيادة العسكرية من ثقة عمياء مطلقة بقدرات مصر وقوتها العسكرية وجهل أعمى مطلق بقوة اسرائيل العسكرية . . ولو تراجع ماحدث فى ٦ أكتوبر تجد أن ما حدث هو العكس تماماً فكان التحفظ والتوجس من جانبنا وكانت الثقة والغفلة على الجانب الإسرائيلى ولهذا خسرت إسرائيل الحرب وانتصرنا .

● كان هناك حسن تقدير لقدراتنا وحسن تقدير للموقف عسكرياً وسياسياً وإدارة جيدة للصراع وللحرب أسفرت عن هذا النصر فى ٦ أكتوبر ؟

ـ وكان هناك ماهو أهم من ذلك كانت هناك الرغبة العارمة فى رد شرف مصر ، فالعسكرية المصرية كانت قد أهينت فى سنة ١٩٦٧ وأهينت بغير أى ذنب جنته ، بل جنت عليها قيادتها العسكرية والسياسية . . وأنا ضد من يحاولون إعفاء عبد الحكيم عامر من مسئوليته عن جناية حرب يونيو بدعوى أن عبد الناصر ورطه فى الحرب على غير استعداد ، وضد من يحاولون إعفاء عبد الناصر من مسئوليته الكاملة عن هزيمة يونيو بدعوى أن عبد الحكيم عامر أبعده عن المؤسسة العسكرية، لأن المسئولية لاتتجزأ ، القائد ، رئيس الدولة مسئول مسئولية كاملة عن اختيار معاونيه وخطأ المعاون يتحمله الرئيس قبل أن يتحمله هذا المعاون .

●●● كتابة التاريخ مهمة صعبة لكن !

● **وهل الأستاذ عبد الوهاب مطاوع يحب إعادة كتابة تاريخ هذه الفترة وتاريخ مصر المتوالين ؟**

ـ لا . هذه مهمة صعبة . لكنى أستطيع ذكر عناوين عامة ، أستطيع أن أقول إن جمال عبد الناصر كانت له إيجابياته وسلبياته كأى زعيم فى أى عهد من العهود فى مصر وفى كل مكان من العالم ، لكن التعبير الذى أستريح له فى تقييم عهده أنه كان عظيم الأخطاء وعظيم الإنجازات بنفس القدر . . وأهم إنجازاته ، بناء السد العالى وبناء قاعدة التصنيع فى مصر وقيادة حركات التحرر فى المنطقة العربية ، وقيادة حركة استعادة الأمة العربية لمصادر ثروتها . . وأهم أخطائه حرب سنة ١٩٥٦ ، وهى هزيمة كاملة صورت لنا كأنها انتصار ، وجناية حرب يونيو سنة ١٩٦٧، وتبديد الثروات فى اليمن ، وقهر الحريات المدنية والسياسية ، واعتماد سياسة الحزب الواحد . ، وبنفس المنطق إذا سألتنى عن رؤيتى لعهد السادات الذى عاصرته أيضاً فى فترة الرجولة أو بداية الكهولة ، أقول إن السادات أيضاً كانت له سلبياته وإيجابياته ، أهم إيجابياته أنه تسلم مصر وهى محتلة فخطط لحرب أكتوبر وقادها وانتصر ، وأنه بدأ نظام التعددية السياسية فى مصر ، أى كان هدفه منه سواء كان هدفه الحصول على تأييد الغرب أو غير ذلك وسواء كان هذا عن إيمان أو غير ايمان ولكن لابد من الاعتراف له بفضل اعتماد التعددية السياسية وبداية إطلاق الحريات السياسية وحرية التعبير . . حتى ولو

كان قد ضاق بهذا بعد ذلك أو ارتكب تصرفات متعارضة مع هذا . . من ايجابياته أيضاً الانفتاح الاقتصادى الذى شهده عصره والتحول إلى اقتصاد السوق ، كذلك فإنه كانت له رؤية مستقبلية تاريخية أتاحت له أن يستشرف قبل كثيرين من قادة العالم أنه ليس هناك قطبية ثنائية فى العالم إنما هناك قوة عظمى وحيدة الآن فلا داعى لمعاداتها إن لم يكن كسبها .

● **هذه قدرة على التنبؤ السياسى الفذ ؟**

ـ نعم هى فيها رؤية مستقبلية لم تتح لغيره من قبل ، وأدار سياسته على هذا الأساس . . أما سلبيات عصره فهى أيضاً كثيرة منها الاندفاع فى تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادى دون مراعاة لأثره على الحياة الاجتماعية فى مصر وعلى الفئات المحرومة ، كذلك فإنه عن إرادة أو غير إرادة سمح للطفيليين والمتسلقين الاستفادة من حكمه وذلك بفرض نوع من سيطرة رأس المال على الحكم وهو المبدأ الذى قامت ثورة ٢٣ يوليو لمحاربته ، وان حكمه فى مجمله على المستوى الاجتماعى لم يكن يدار لصالح الفئات العريضة المحرومة من الشعب ، سواء كان عن عمد أو عن غفلة . . ويرتبط بذلك أيضاً أنه كانت هناك غفلة عن نبض الشعب الحقيقى فى هذه الفترة . . وهذه الغفلة هى التى سمحت بقيام اضطرابات يناير سنة ١٩٧٧ . ، لكن نعود لنقول إن كل زعيم ينبغى أن يقيّم فى إطار عصره وإطار المتغيرات الدولية والتحديات التى يواجهها ، وفى رأيى أن الرئيسين السابقين لمصر كلاهما أخلص لبلده وكلاهما حاول

جهد طاقته أن يخدم بلده فأصاب وأخطأ ، ولا نستطيع أن نصدر حكماً عاماً بإدانة هذا أو ذاك ، إنما نستطيع أن نتقبل من كل منهما إيجابياته وننكر عليه سلبياته .

● **قبل أن أنتقل للسؤال التالى أود أن أبدى اندهاشى من تقسيمك للفترة من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٧٥ وهو تقسيم مخالف لكل التقسيمات المتعارف عليها ، وكان المفترض أن يكون التقسيم من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦٧ ومن سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٣ ومن سنة ١٩٧١ حتى الآن لكن لماذا من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٧٥ ؟**

ـ أنا قسمتها على أساس بداية فترة الوعى عندى لكن ليس ذلك تقسيماً تاريخياً ، فهذه الفترة التى أستطيع أن أشهد عليها .

● **أستاذ عبد الوهاب مطاوع تفضلت وأشرت إلى أن هجرة المصريين إلى دول عربية وإلى دول العالم المختلفة فى أوروبا وأمريكا وإيطاليا بدأت فى أعقاب هزيمة سنة ١٩٦٧ . . وأحب أن أعرف منك ـ من خلال نبض قرائك فى بريد الجمعة فى «الأهرام» ـ أثر ظاهرة الهجرة على الأسرة المصرية وعلى البيت المصرى وعلى الإنسان المصرى ؟**

ـ هذا الأثر انعكس على الأسرة المصرية وعلى الحياة فى مصر انعكاسات متعددة، من الناحية الاقتصادية كان انعكاساً إيجابياً ، فتجد أسراً كثيرة أقيلت من عثرتها واستقرت مادياً وانتقلت إلى مستوى حياة أفضل ، حلت مشاكل الإسكان وغيرها ، انتعشت مادياً وظهرت

طبقة متوسطة جديدة انتقلت إلى الثراء المحدود فى فترة قصيرة . ، وعلى مستوى العلاقات الأسرية كانت هناك بعض الآثار السلبية نتيجة لغياب الزوج سنوات طويلة عن الأسرة ، بل غياب الزوجة نفسها ، تذهب هى فى إعارة للخارج ويبقى الزوج وأولاده فى الداخل ، لكن أبرز الظواهر سلبية هى ظاهرة الغياب الطويل للأب عن الأسرة ، الغياب الذى قد يطول إلى خمسة عشر عاماً تتخلله إجازات محدودة ، فينشأ الأبناء وهم شبه غرباء نفسياً عن أبيهم .

وأنا أعتقد أن وجود الأب إلى جانب الأبناء ضرورى ـ رغم شرف الدوافع التى تدفع الآباء إلى الهجرة ـ فليس الأب من ينفق إنما الأب من يعول ويربى ويعلم ويغرس فى أبنائه القيم ويضع فيهم الواعز الدينى ، ويحميهم ، فوجود الأب ضرورى وأساسى .

● قرأنا مرة مشكلة فى بريدك عن أب عاد بعد هجرة استمرت خمسة عشر عاماً فى إحدى الدول العربية ليجد نفسه غريباً وسط أسرته . . بل أن أبناءه كانوا ينظرون إليه على أنه إنسان غريب ليس له مكان بينهم ؟

ـ نعم وقد تعجبت لها والشكوى ليست من الأب العائد لكن من الأبناء الذين يشكون من وجود أب أصبح غريباً عنهم عاد بعد خمسة عشر عاماً بعد انتهاء عمله ليقيم بينهم ويمضى ساعات طويلة فى المنزل، عاد ليمارس سلطاته الأبوية متأخراً ؛ «أين تذهب؟» و«لماذا تخرج؟» فأصبحوا يضيقون بهذه القيود ، ثم ضاقوا بسلوكياته ، فهو إما

نائم أو يشاهد التليفزيون أو يقرأ الجرائد ، هذه حياته ، لكنه أصبح كالضيف الثقيل وأصبح موضع انتقاد . . ومرد ذلك إلى الفجوة النفسية التى حدثت بينه وبين أبنائه نتيجة غيابه الطويل عنهم .

لذلك فأنا أنصح الأسر التى تتطلب طبيعة عمل الأب فيها السفر بأن يجتمع شمل الأسرة معاً فى الخارج ، فإذا تعذر هذا ، ينبغى ألا يغيب الأب عن أسرته ـ بأى حال من الأحوال ـ عن ستة أشهر ثم يعود فى أجازة ولو على نفقته الخاصة .

● **ونشأت هذه المشكلة الحادة التى لاحظنا تكرارها كثيراً فى بريد الأستاذ عبد الوهاب مطاوع . . هل أزعم أيضاً وأكون على حق إذا زعمت أن نسبة كبيرة من بريد قرائك تتعرض لأحوال شخصية والعلاقة بين الرجل والمرأة فى هذا العصر والمشاكل العاطفية والاجتماعية الناشئة عن العاطفة .**

ـ صحيح لأن بريد الجمعة يختص بمشاكل الإنسان مع الإنسان . . وهذا للتمييز بينى وبين بريد الأهرام اليومى الذى يتعامل مع مشاكل الإنسان مع مجتمعه ككل ، مع الحكومة والإدارات والمرافق ، أما بريد الجمعة فينفرد بمشاكل الإنسان مع الإنسان والتى تندرج تحتها المشاكل العاطفية والإنسانية الوجدانية .

● **إذن من خلال هذا ماهى شهادتك على هذا النوع من العلاقات فى مجتمعنا الآن ؟**

ـ الإنسان ابن عصره وابن بيته وليس هناك عازل بين ظروف المجتمع الذى تعيش فيه وبين مشاكلك ونهجك فى الحياة، لأن الإنسان يؤثر ويتأثر ويتفاعل مع مجتمعه ويتفاعل مع العصر الذى يعيش فيه ، فمشاكل الإنسان مع الإنسان هنا تتغير من جيل إلى جيل ، ولو تلاحظ المشاكل التى عرضت فى بريد الجمعة نجد أن فيها موجات من المشاكل المتقاربة ، مثلاً منذ عشر سنوات كانت هناك موجة شكوى الأمهات والآباء من جحود الأبناء ، يمكن مع بداية التحول من مجتمع مقفول إلى مجتمع مفتوح ، ويمكن مع بداية تطلع الشباب للهجرة وتطلع الشباب للانطلاق للخارج ، بعد فترة كانت هناك موجة من مشاكل الزوجات اللائى يعانين من هجزة أزواجهم فترات طويلة دون العودة إليهم أو تحول مسئولياتهم إلى آخره . . ثم كانت هناك موجة أخرى من مشاكل تأخر سن الزواج عند الفتيات وعدم إتاحة الفرصة لهم فى الزواج ، وارتفاع صوت الفتاة مطالبة بحقها الطبيعى فى الزواج . . يمكن مثل هذه المشكلة لم تكن لتجدها من عشرين عاماً مطروحة فى أبواب الصحف ، وحتى لو كان وقتها ظهرت مشكلة فإنها كانت مشكلة فردية، غالباً ما كانت تخجل الفتاة أن تعبر عنها فى منبر عام ، الآن بعد انتشار هذه المشكلة وبعد تغير الأفكار ، أصبحت مشكلة موضوعية ، وأصبحت الفتاة تتحدث عنها بلا حرج ، وأنا أستقبل كثيراً من الفتيات اللاتى يطلبن مساعدتى فى إيجاد فرصة زواج لهم ، وأنا لا أعيب هذا عليهم بل أحترم فيهم هذه الواقعية وهذا التطلع المشروع إلى حقهم فى الحياة .

● **أستاذ عبد الوهاب مطاوع تعودت على أن تستمع ، وتعودت على استقبال قرائك وهم يحضرون ليفضوا إليك هذا الإفضاء الحميم بمشكلاتهم ويسألونك عن حل لهذه المشكلة . . وفى أغلب الأوقات لايكون الهدف هو حل المشكلة وإنما مجرد الإفضاء بهذه المشكلة إليك ، فهل تلمس فى هذا ظاهرة معاصرة فى إنسان العصر فى أنه يحاول أن يجد مستمعاً يستمع إليه لكى يفضى إليه هذا الإفضاء الحميم ، هل أصبح إنسان العصر فى حاجة إلى أذن تسمعه ؟**

ـ نعم ، أنا أتفق معك فى جزء كبير من هذا التحليل لأن ظروف العصر دفعت البعض إلى الانكفاء على أنفسهم ، ومعركة الحياة شغلت كثيرين عن أن يكون لديهم الوقت أو الاستعداد النفسى لاستقبال مؤثرات سلبية أخرى ، فكل إنسان يعانى فى حياته اليومية والخاصة وتشغله هموم كثيرة بما قد لايتيح له الفرصة لأن يكون على استعداد نفسى لأن يتحمل هموم الآخرين ، ودائرة الاستماع تضيق فى كثير من المجتمعات وليس فى مصر فقط ، فلو تلاحظ أن فى المجتمعات الغربية توتر الإنسان هناك قد يصل إلى الحد الذى لايتحمل معه أن تنظر إليه ولو لاحظ أنك تمعن النظر إليه يضيق بك .

● **هنا أنت تذكرنى بموقف بطل رواية «الغريب» لألبرت كاميه الذى اضطر لأن يقتل إنساناً غريباً لايعرفه لمجرد أن ضوء الشمس زغلل عينيه فأحس بالضيق فأطلق الرصاص على أول عابر .**

ـ هى ظاهرة ملموسة فى المجتمعات الغربية وفى مجتمعات الزحام

بصفة عامة ، الحقيقة أخلاقيات مجتمعات الزحام تفرض على الناس أحياناً سلوكيات غير طيبة ، ولعلك تلاحظ أنك عندما تكون فى سبيلك للمرور من أحد الأبواب أنت وشخص آخر فإنك ستقف لتدخله وسيفعل الآخر نفس الشىء كل منكما سيقدم الآخر على نفسه ، وتخيل لو أنكم خمسون فرداً أمام هذا الباب هنا لن يصبح هناك مجال كبير للإيثار ، يعنى قد لاتدفع الآخرين ولن تمنعهم لكنك لن تقدمهم عليك، هذا هو مجتمع الزحام ومايفرضه علينا ، والعيب ليس فى الإنسان لأن هذا الإنسان نفسه لو انتقل إلى الريف تعود له سلوكيات المجتمع الطبيعى . ، إذن فإن الفوارق ليست بين الأجيال فى الأخلاق بقدر ماهى فوارق بين البيئة الحضارية المزدحمة الصاخبة بإيقاعها السريع، وبين البيئة الريفية الهادئة بإيقاعها الهادىء . . وهذا على مستوى العالم كله ، فتجد اختلافاً بين أخلاق أهل المدن وأخلاق أهل الريف ، تجد سماحة أكثر لدى أهل الريف وتجد أهل المدينة أكثر جدة .

●●● الحل فى تنحيم الأسرة :

● هنا الأستاذ عبد الوهاب مطاوع يلتقى مع علماء الاجتماع الذين حللوا هذه الظاهرة ، ورصدوا ميكانزمات الزحام ومجتمعات الزحام والتكدس . . وطبعاً كلنا ملاحظون ان هذه الظاهرة أصبحت شديدة الحدة فى مصر نتيجة التكدس والزحام الشديدين بسبب ازدياد عدد السكان أو الانفجار السكانى الذى نعانى منه كثيراً ، والذى أسفر عن

مشكلات كثيرة لعلها أبرزت نفسها فى العديد من رسائل قرائك أيضاً فى بريد الجمعة ؟

ـ هذا صحيح ومن صورها الغريبة التصارع على السكن وتقطيع الأرحام وتمزق الأسر نتيجة للصراع على السكن ، فتجد الإخوة يتصارعون على شقة الأب أمام المحاكم ، وتحدث قطيعة بينهم وقطع لصلة الرحم ، لكن لو وجد هؤلاء أنفسهم فى مجتمع منبسط ما كان هذا حالهم ، لكن لأن هنا الصراع من أجل البقاء ومن أجل الحياة ، فإنه غالباً ما يؤثر على القيم بل ويدوس عليها .

●●● شهادة على المرأة المصرية :

● أستاذ عبد الوهاب مطاوع «افتح قلبك» هو عنوان أحد مصنفاتك الهامة عن العلاقة بين الرجل والمرأة فى هذا العصر وأنا بدورى أسألك أن تفتح قلبك وتذكر لنا أهم ما خرجت به من هذا البحث ، وشهادتك على المرأة المصرية بعد خروجها للعمل وأثر ذلك على الأسرة والمجتمع ؟

ـ أولاً أنا من المعجبين برأى المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة المعروف عن عمل المرأة وقد سجل هذا الرأى سنة ١٩٥٠ حين قال :

«تعمل المرأة لحاجتها للعمل أو لحاجة المجتمع إليها » . .

وهذا يلخص القضية كلها ، تعمل المرأة إذا كانت محتاجة إلى العمل

وهذا الاحتياج قد يكون احتياجاً مادياً أو نفسياً ، أو إذا كان المجتمع فى حاجة إليها . . إذن فالعمل حق المرأة لكنه فى رأيى ليس واجباً عليها ، والإنسان يستطيع أن يمارس حقه أو أن يتنازل عنه ، أما الواجب فلا يملك أن ينكص عن أدائه ، وأنا مع من يعطون المرأة حق ولست مع من يعتبرونه واجباً عليها ، لأن الواجب الأول للمرأة وهو الواجب الأعظم والأكبر ، هو تربية أبنائها تربية مثالية ، تربية تغرس فيهم من خلالها القيم والأخلاق والدين ، إذن مهمة الأم مهمة عظمى وهى فى رأيى أهم مهمة تقوم بها المرأة أو يقوم بها الرجل ، لذا فإن العمل حق للمرأة مالم يتعارض أو يؤثر على هذه المهمة الأساسية العظمى .

● **لعلى لا أجانب الصواب إذا زعمت أننى لا أجد ظلالاً واضحة لقضية التطرف فى بريد أصدقائك على الورق فى بريد أهرام الجمعة ؟**

ـ فى الحقيقة أنا تعرضت لها مرتين أو ثلاث ، منها رسالة كانت تحت عنوان «حادث الشاطىء» عن الزوجة التى تطرف زوجها أو غالى فى تزمته وألزمها النقاب ، ثم كانت معه على رمال الشاطىء وحل الغروب ورأت طفلة سقطت منها الكرة فى البحر فقامت لتساعدها فى إحضار الكرة لكن الطفلة فزعت منها وصرخت ، فحاولت الزوجة تهدئة الطفلة بأن كشفت لها وجهها ، فغضب الزوج لهذا أشد الغضب ، مع أن هذا كان للضرورة كما أن الوجه ليس عورة كما نعلم جميعاً ، فأنا عرضت هذه الرسالة وعلقت عليها وقتها ثم عرضت رسالة أخرى من هذا النوع .

●●● اليوم أفضل من الأمس والغد أفضل من اليوم :

● **يقولون الشباب نصف الحاضر وكل المستقبل فكيف ترى مستقبل مصر من خلال شباب العصر باعتبارك رئيس تحرير مجلة «الشباب» وباعتبارك شاهداً على العصر ؟**

ـ والله أنا أقول لك إننى أرى المستقبل أفضل من الحاضر . . وأرى أن الأجيال الجديدة سيتاح لها مالم يتح لنا من وسائل العلم ومن مستحدثات العصر ، وستتاح لهم بشكل أكبر فى المستقبل القريب لكن بشرط أن تحسن الأجيال الجديدة تنمية قدراتها ، وأن تعتمد فلسفة العمل ثم العمل ثم العمل . ، أنا لا أحترم إنساناً ليس يعمل ولا أحترم انساناً غير دقيق فى عمله مهما كان نوع العمل الذى يمارسه ، وأحترم إلى أقصى حد ممكن أن تتخيله الانسان الذى يجيد عمله مهما كان نوع العمل الذى يمارسه ، صغير الشأن أم كبير الشأن ، وأعتبر هذا الإنسان إنساناً متزناً ومتوافقاً نفسياً ويشعر بنوع من العزة الشخصية لأنه سيد عمله . .

●●● هتاف الاستاذ عبد الوهاب مطاوع :

● **«هتاف المعذبين» هو عنوان اختاره الأستاذ عبد الوهاب مطاوع لمجموعة مؤثرة من بريد القراء ، فما هو الهتاف الذى تنهى به هذه الشهادة ؟**

ـ «هتاف المعذبين» كان عنوان أحد كتبى وهو تنويع على عبارة للراحل د . سيد عويس ـ رحمه الله عليه ـ «هتاف الصامتين» وكان مقصوداً منه هتاف المعذبين الصامتين .

ما أريد أن أنهى به هذا اللقاء هو عبارة موجزة أستعيرها من الكاتب الروسى العظيم دستوفسكى وأقول فيها «إن الحياة ليست أهلاً للاستهانة بها والازدراء ، وإن الموت ليس أهلاً للتخوف منه والتوجس» .

وعندما تفكر فى هذه العبارة تجد أنها تطالبنا بالكثير . . تطالبنا أن نعطى الحياة حقها من العمل والإخلاص والسعى الدؤوب لترقيتها ولتيسيرها على الآخرين وعلى أنفسنا ، وتطالبنا بالعمل الدؤوب على تخفيف آلام الحياة على المعذبين كى نصل بالحياة إلى المثال الذى أراده الله سبحانه وتعالى للإنسان الذى لم يخلقه ليشقى ، إنما ليسعد وليعبد الله ويذكر اسمه كثيراً ، تطالبنا بأن نجعل الحياة أكثر إنسانية وأقل بهيمية وحيوانية ومادية مما هى عليه !